

# حكومة الله

من الصعب بل الاصعب كثيرا ان تدرك العقول بيقين مطلق حكومة الله التنفيذية بين الناس وان استطاع بعض المؤمنين ان يدركوا تلك الحكومة من حيث النتائج واثرها في معاقبة المجرمين الا انهم غير قادرين على ادراك تفاصيل تلك الحكومة وانظمتها التنفيذية في خلق الله وتبقى قدرات الانسان كما كانت سابقا تتعامل مع حكومة الله تعامل اجماليا بل ضبابيا الى حدود قاسية على المدرك العقلي في الوقت الذي لا يمكن ان تتحقق مخافة الله ما لم ينضبط العقل ازاء حكومة الله النافذة

خفاء النظم التنفيذية لحكومة الله دفع بغالبية المذاهب الاسلامية الى ترسيخ فكرة ارجاء العقاب الى يوم القيامة وراجت فكرة المرجنة في الاسلام بعد حقبة الخلافة الراشدة في صدر الاسلام وتزايد رسوخ فكرة ارجاء العقاب الى ما بعد الموت عند فقهاء الصدر الاول للاسلام وقد لاقت تلك المرشد قبولاً جماهيرياً واسعاً عند الناس ليس فقط بسبب ترويج الفقهاء لها بل ان قبول تلك الفكرة عند الجماهير تطابق مع غفلة الجماهير عن النظم التنفيذية لحكومة الله وبالتالي فان المكلف عندما يخالف الاحكام الشرعية كأن يعتدي على عابر سبيل مثلا وبعدها يتعرض الى ازمة من مرض او خسارة او اعتداء مماثل عليه فان مرشد العقل عنده لا تستطيع ان تربط بين جرم المكلف والعقوبة التي نزلت فيه ويستطيع المذنب ان يصف العقوبة التي حاقت به بصنوف متعددة من الاوصاف التي تبعد أي رابطة بين جرمه وعقوبة ذلك الجرم فيقول حظ سيء او صدفة سيئة او توفيق سيء او انها امتحان الهي او انها فعل شيطاني او .. او وكل مجتمع في كل حقبة زمنية يمتلك حفنة من المعايير التي تفك الرابطة بين الجرم وعقوبته وبذلك الاتفاق العرفي الذي لا يرقى الى المصدرية الشرعية توارثت الاجيال فكرة تأجيل العقاب الى ما بعد الموت في اسوأ حيود فكري سجلته مسيرة الجماهير الاسلامية عبر مراحلها التاريخية المختلفة

غض الطرف وغمض العين عن نافذية حكومة الله تدفع بالجمهور الاسلامي نحو الرذيلة خصوصا في فترة الصبا وعدم النضوج الفكري ... نقل عن مجلة مصرية نشرت مذكرات شيخ ازهري ارتد عن دينه وعلن الحاداه قائلًا (كان يحدثنا شيخنا في الجامع ان من افطر رمضان عمدا فان الملائكة تفعل به كذا وكذا في ليلة افطاره ويضيف انه عندما افطر عمدا في رمضان بقي ينتظر فعل الملائكة في تلك الليلة فان احدا منهم لم يأتي واصبح من ليلته تلك في احسن حال ..) مثل هذه الاعترافات الخطيرة ليست مؤشرا بحثيا يركن اليه او يعتمد في اثاره عقل من يريد ان يصل الى الحقيقة لان الحقيقة تعلن عن نفسها في حيود جماهيري اسلامي كبير فسرعان ما صاحبت الثورة الصناعية ثورة جماهيرية اسلامية في الانسلاخ من النظم الاسلامية الراسخة سواء كان في ازياء المسلمين وازياء نسايتهم او في يومياتهم فبعد ان كان حلق الذقن مخالفة لسنة رسول الله اصبح حلق الذقون علامة حضارية تفرق بين المتخلفين والمتحضرين حتى سرت تلك الظاهرة لمشايخ المسلمين في الربع الثالث من القرن الماضي .

ليس الهدف من هذه المناورة هو تهشيم الفكر المستقر عند السابقين لان تهشيم تلك الافكار الراسخة عندهم لا يعني الفوز بمسك الحقيقة العادلة ولكن الهدف من هذه المناورة الفكرية هو منع ميراث تلك الرواسخ الفكرية العوجاء التي ابعدت جماهير المكلفين عن دائرة مخافة الله حتى وصلت الحال الى اسوأ ما يمكن ان يوصف به حال من الاحوال السيئة فترى المخالف يخاف من مجتمعه كثيرا ولا يخاف الله

وذلك بسبب ضمور الحق في معرفة حكومة الله النافذة في خلقه ... ولنجمع شتات عقولنا ونفترض المثل الاجتماعي التالي :

لو انك سافرت الى المملكة الفلانية وعند تواجدك هناك اضطررت لتوجيه صفقة لاحد رعايا تلك المملكة عندها ستظهر بين يديك حكومة الملك فلان في طود تنفيذي كبير من شرطة وضباط شرطة وابنية وانظمة ومن بعدها تظهر منظومة قضائية وابنية فارهة ورجال قانون وبعدها سترى منظومة السجن ومبانيها ورجال السجن وسوف ترى رتبا عسكرية كثيرة ونياشين والقاب ومراسيم عديدة وملفات تنظيمية لا حصر لها وقوانين عظيمة لا مساس فيها فلسوف تجد بشكل كبير ان حكومة الملك فلان هي اكبر بكثير جدا من حكومة الله فعندما تقوم بصفحة احد من رعية الله فان حكومة الله لن تظهر بنفاذيتها كما ظهرت حكومة الملك فلان .. كيف يكون الله اكبر اذن ...!!! وكيف تستطيع ان تكبر الله في اليوم عشرات المرات وانت ترى ان غير الله هو اكبر من الله وفي اهم رصد يمكن ان ترصده وهو حكومة الله  
!!!!!!.....

هذه المعالجة لا تحتاج مصادقة مؤسسة اكااديمية لغرض ترسيخها بل هي من مستقرات اجتماعية مشهورة وواضحة ويعرفها القاصي عنها والداني منها حتى يمكن ادراكها من قبل اقل العقول البشرية نشاطا واذا اردنا ان نضع مضامين للغفلة الجماعية عن نفاذية حكومة الله ربما يكون المثل التالي مساعدا للعقل الباحث :

عندما تلتقي مع رجل بدوي في بطن الصحراء وهو يدعوك للبقاء في دياره فتعتذر منه قائلا انك لا بد ان تراجع دائرة المرور لدفع الغرامات وتسعى لاستبدال (سنوية السيارة) فقد انتهت نفاذيتها .... لا يستطيع الرجل البدوي ان يفهم منك شيئا من الكلام الموجه اليه فهو لا يعرف ماهية قوانين المرور او حتى ان للمرور دائرة تتحكم به وهو لا يعرف ان للمرور غرامة وهو لا يستطيع ان يفهم معنى سنوية السيارة لان السنوية عنده تعني سنوية المتوفي وليس لها قانون نفاذية .... الرجل البدوي سوف لن يفهم الكلام ليس لان عقله عاجز عن الفهم !!! بل لانه لا يتعامل مع قانون المرور في الصحراء !!! انها نقطة فهم كبيرة في المستقر العقلي عسى ان يدركها متابعا الفاضل ..... نحن لا نعرف قوانين الله النافذة فينا ليس لان عقولنا عاجزة عن فهمها بل لاننا لا نتعامل مع تلك القوانين وهجرتها عقولنا هجرا جماعيا ومتوارثا اي ان عملية الهجر نشاط موروث من اجيال سابقة ربما الى عصر الرسالة الشريفة او قبله ... ولكن القرعان معنا يزودنا بقائمة طويلة للعقاب الجماعي لاقوام ورد ذكرهم في القرعان بل لافراد وأولهم ادم عليه السلام وعقوبة ذا النون الذي ظن ان لن يقدر عليه وقوم نوح وقوم لوط وقوم فرعون واصحاب مدين وكثير من الامثال الفردية والجماعية لاشخاص عوقبوا في دار الدنيا

(وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (الأنعام: ٥٥) هل يحتاج النص الشريف الى مصادقة مذهبية لفهمه او هل يحتاج النص الشريف الى مفسر معترف به لتفسير قول الله الواضح البيان ام ان فهم القرعان حكرا لعناوين والقاب محددة ولم ينزل بها الله من سلطان (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) (النمل: ٦٩) وهل في هذه الاية غير التكليف الشرعي الملزم ... عاقبة المجرمين هي عقوبتهم .. من عقوبتهم يتم استبيان القانون الالهي في سبيل المجرمين ويظهر القانون الشريف ... النداء الالهي شامل عام ولا يمكن تخصيصه لقوم او اشخاص في التاريخ كما يقول المفسرون بل علينا ان نرى عاقبة المجرمين فينا ومن هم حولنا ...

هذا كان يشرب الخمر علنا ولا يحسب لله وقارا ... كيف كانت عاقبته  
وهذا كان يمتن السرقه .. كيف كانت عاقبته ومن حوله ممن اكل الحرام والتهم المال المسروق  
هذا كان يعتدي على الناس ... ماذا حل به  
هذا كان يأكل اموال الناس بالربا وبالباطل .. كيف يكون مصيره  
وهذه الغانية .. كيف كانت خاتمها

وهذه باغية .. كيف عاقبتها

وهذا مرتشي .. وهذا فاسق .. وهذا يخسر الميزان .. وهذا يغش في حرفته .. وهذا وهذا وهذا .. كلهم مجرمون حولنا ومعنا نعرف ماضيهم الاجرامي ونتعرف على عاقبتهم فلسوف نرى حكومة الله النافذة فيهم

منهجية القراءان العظيم تكثر من الامثال لان المثل هو اكثر الاوعية العقلانية وسعة في حمل موضوعية القانون الكامن تحت المثل .. ازاء تلك المنهجية القدسية فان طرح مثل توضيحي قد يربط اجواء هذه السطور خصوصا ان المثل الذي ساسوقه هو من مجتمع مسلم وان الرصد سوف يكون للعقوبة للتعرف على المجرم ومن ثم التعرف على جرمه ..

في مدينتي كان يعيش رجل ثري نسبيا ومشهور شهرة واسعة بالزهد والتعبد والتقوى حتى بلغ زهده شهرة متميزة وبعد ان قبض الى ربه تزوجت ابنته الوحيدة من رجل اتضح فيما بعد ان ذلك الزوج فاسق من الدرجة الفائقة مما ادى الى ضياع اموال ذلك الزاهد على موائد القمار وفي شرب الخمر والبغاء وكنت انا قريبا من تلك العائلة لاسمع عن تلك الامور التي ارى من خلالها اختلالا فكريا كبيرا في مراقبة قوانين الله التي تدافع عن الدين امنوا

(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ) (الأنعام: ٦١) اين الحفظة الذين وعد بهم الله سبحانه في دستورية قرآنية لا عوج فيها ولماذا فرطوا بحفظ ماله به بعد موته !! ... كيف تضيع اموال ذلك الزاهد وعليها حفظة بنص قرآني ولكن عطفنا على نص اخر

(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام: ٨٢) وعندما يرتبط هذا النص الشريف بنص اخر تتضح الصورة اكثر (لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) (البقرة: من الآية ١٢٤)

اذن هناك ظلم من ذلك الزاهد تم رصده من خلال العقوبة التي رصدت في ضياع ذلك المال على موارد الرذيلة .. سرت في الارض وتوجهت الى احد اقارب ذلك الزاهد المقربين منه وشرحت له مضمون الاسطر السابقة بحدود عقلانية ذلك الرجل فاجابني جازما ومنفعلا (من قال لك ان ذلك الزاهد لم يكن ظالما ..؟) فقلت له زهده مشهور فقال لي (لا تعرف حقيقة ظلمه لانه يخفي ذلك بحيلة شرعية ) قلت له كيف فقال لي (كان يتعامل بالربا ..) فقلت له او يعقل ان فلان الزاهد كان مرابيا ...!! قال لي بل اخذ الربا مني ولكن تحت عناوين شرعية فقلت له كيف قال كان كثيرا ما يدعوني الى طلب مساعدته عند حاجتي للمال وفي يوم احتجت الى بعض المال فاقرضني المبلغ الذي اريد ولكنه طلب مني ان ارهن عنده احدى غرف منزلي تحت شعار شرعي (فرهان مقبوضة) وبعد ان قبلت الرهن طلب مني ايجارا شهريا عن تلك الغرفة من المنزل .... ازعجتني معالجته وعندما اشتيكته الى احد اصدقائه فتبسم قائلا انه فعلها معي ايضا ...

من هذا المثل الميداني يتحقق التكليف الالهي (قل سيروا .... عاقبة المجرمين) وعند رصد (نظر) تلك العاقبة نستبين سبيل المجرمين والقانون الذي يحكمهم ونرى نفاذية حكومة الله بتفاصيلها وعند الامعان والاصرار على هذا المسرب الفكري يتم الوصول الى ادق تفاصيل قوانين حكومة الله ونفاذيتها في الخلق ... وعندما تسائلت عن سبب نزول العقوبة به بعد موته وكيف بقيت امواله محفوظة في حال حياته وضياعها بعد موته وجدت ان حيازته لتلك الاموال كانت لعقوبته ايضا فان اكثر ماله كان عبارة عن مساكن مؤجرة للغير وعندما تطلعت قوانين الدولة في ايجار المساكن اصبح المستأجر سيد الموقف وبدأ المالك (المؤجر) يتعذب بتلك الاموال ولا تسعده فقلت سبحان الله ربي وربه

عدما تمسك عقولنا بضابطة حاكمة حكومة الله لا نتوقف عند المجرمين في استقراء قوانين الله بل تنقلب المسارب الفكرية لتتضبط في الجانب الاخر من تلك الحكومة النافذة وهو الجانب الايجابي في مثوبة الله الدنيوية ونستقريء القوانين التي تكافيء المؤمنين من خلال مراقبة الثواب وليس العقاب ... (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) (الكهف: ٧٩) النص الشريف اعلاه في مثل العبد الصالح الذي سعى سعيا ليخرم سفينة تعود لمساكين يعملون في البحر هو مثل يستوجب تشريحه على طاوله الباحث عن الحكومة التنفيذية لله سبحانه ومدى فاعلية تلك الحكومة ودرجة دقتها العالية وعند تشريح هذا المثل سنجد ان فعل خرم السفينة فعل غير مقبول من قبل المساكين انفسهم او من قبل اي مراقب اخر للحدث مثل موسى الذي صاحب العبد الصالح ورأى فعله الذي لم يستطع عليه صبورا ولكن الدستور القرآني الشريف يؤكد ذلك بشكل حرفي دقيق جدا

(فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) (النساء: من الآية ١٩)

اذن هنالك معادلة فكرية ترتبط مع الحدث بنفاذية من حكومة الله مثلها بمثل ما نفهمه من قوانين الدولة الحديثة فقانون العقوبات مثلا هو (معادلة فكرية) وضعها رجال متخصصون بصياغة القانون وفق معايير التعادل الفكري وتلك المعادلة الفكرية (القانون) مرتبط بالحدث الذي سيحدث لاحقا فلو ان قانون العقوبات قد قرر السجن عشر سنوات لمن يختلس المال العام فان السنين العشر لم تبنى لغرض الانتقام من المختلس بل لبناء معادلة فكرية في ردع الاخرين من الاختلاس في طرف من طرفي المعادلة الفكرية وفي الطرف الاخر لكي يتم اصلاح اخلاق المختلس لغرض عودته الى مجتمعه بعد السنوات العشر وقد اصبح اكثر صلاحية في المشاركة مع مجتمعه ... تلك المعادلة الفكرية المجردة من الحدث تم بناؤها والحدث لم يحدث بعد ... من هذا المثل المستدرج من حيثيات نشاطنا نجد ان نفاذية حكومة السلاطين امتلكت التعادل الفكري قبل الحدث وتلك الاثارة قد تمنح عقولنا القدرة على فهم النصوص الشريفة في كيفية بناء التعادل الفكري في حكومة الله سبحانه ونرى فيها الجانب التنفيذي في عملية خرم السفينة او عملية قتل الغلام ... ذلك الطود الفكري الكبير المسطور في القرآني مهجور من قبل فقهاء المسلمين لانهم يتعاملون مع الامثال القرآنية باعتبارها قصص ذات مضامين معنوية غير قابلة للتطبيق لان العبد الصالح الذي صاحب موسى عليه السلام قد انتهت فاعليته ولكن لو عدنا الى الفكر الاجتماعي الاسلامي سنجد بعض الاشارات الغريبة العجيبة في قصة العبد الصالح باعتباره رجلا لا يزال حيا ولم يدركه الموت وقد وردت كثير من الروايات ان اسمه (الخضر) وهو شخصية روجت لها بعض الروايات الضعيفة ولكنها سرت بين الجماهير الاسلامية باعتبار ان (الخضر) هو رجل كتب له الحياة الطويلة ليمارس عملا كعمل خرم السفينة او امثاله ... ورغم هذه المسارب الغيبية في الفكر الجماهيري الاسلامي نجد ان الفقه الاسلامي عاجز تماما عن احتواء قوانين الله النافذة بتفصيلات نفاذ تلك القوانين بل ان القوانين نفسها غير معروفة بشكل تفصيلي بل ان ما يتحدث عنه الفقهاء هي عموميات شاملة في غضبة الله على المخالفين من عباده وعطاء الله الكريم لاحباء الله وعباده الصالحين اما تفاصيل تلك القوانين بشقيها الايجابي (الثواب) والسلبى (العقاب) بقيت حكومة الله النافذة خفية على جمهور المسلمين مما دفع الكثير منهم الانفلات من الشريعة لعدم مخافتهم منها .

عندما نرصد النفاذ الايجابي لحكومة الله سيكون الباحث اكثر حركة في عقلانيته لان رصد الثواب المقرون بالدعاء يكون اكثر حضورا في جماهير المسلمين وان الذين يدعون الله فيستجيب لهم ربهم كثرة كثيرة لان الله قد كتب على نفسه الرحمة وعندما يكون الباحث في وعاء القرآني سيجد ان وعاء الثواب مفتوح بشكل كبير في فهم موضوعية الرزق كذلك سيجد الباحث عن حكومة الله ان الله سبحانه قد اجاز للعبد الصالح ان يتمنى ما يشاء ويطلب ما يشاء وبين ايدينا حكاية العشاء الرباني من نص دستوري

(قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (المائدة: ١١٤) وعندما يوسع الباحث بحثه في وعاء القرءان سيجد الاكثر ايجابية بل سيجد ان العبد الصالح كيفما يكون ذو حظوة كبرى بين يدي ربه فيطلب من ربه طلبات كبرى ايضا

(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ) (ص: ٣٥) نحن نراقب الفقرات التنفيذية لمثل هذه المعادلة الفكرية المروجة في القرءان ومن خلال رقابة الفقرات التنفيذية يستطيع الباحث ان يمسك بالنظم التنفيذية لقوانين حكومة الله في شقها الايجابي وعلى الباحث ان يرصد المعادلة الفكرية في النص الدستوري لان النظم التنفيذية لحكومة الله مبنية على تلك المعادلة ويمكن ان نرى ذلك بالوضوح المطلق في النص الدستوري من خلال طلب العبد الصالح في تسوية الموقف بين العبد وربّه اولا قبل تقديم الطلب فقال ويجب ان يقول كل عبد صالح (رب اغفر لي) والقول هنا ليس لفظا يقوم العبد الصالح بترديده كما يقال بيت الشعر بل ان القول يعني ربط الصفات التي تخص الذنوب التي استوجب الاستغفار منها وبعد ان يستوعب العبد الصالح طرف المعادلة الاول في الاستغفار المستكمل لشروطه يقوم الطرف الثاني للمعادلة في (هب لي ملكا) وهنا يجب ان تتألق عقلانية العبد الصالح قربا لربه وكلما اقترب كلما زادت الهبة الالهية الشريفة لصفة الله الغالبة (الوهاب) ...

هذه المعالجة لا تعني ان الثواب سيكون حصريا بوجوب الدعاء من قبل العبد الصالح ونجد في النص الدستوري ان المساكين الذين يعملون في البحر لم يطلبوا من ربهم نجاة سفينتهم لانهم لا يعلمون ان ورائهم ملكا ظالما يأخذ كل سفينة غصبا بحيث نرصد فقرة تنفيذية في حكومة الله ان الثواب يشمل كل ما يصلح حال العبد الصالح حتى اذا استوجب قتل ابنه كما في مثل موسى وصاحبه (فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بغيرِ نَفْسٍ زَكِيَّةٍ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) (الكهف: ٧٤) بناء الفكر الراشد يجب ان يقوم بلبينات قرءانية لان القرءان ليس للغناء بل للتطبيق عسى ان يدرك من يتابع معنا هذه الاثار ويطلب من ربه

(رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) (الكهف: من الآية ١٠)

وللرشاد سبيل لن نجده في وعاء فكري الا في القرءان حصرا لانه يهدي للتي هي اقوم  
الحاج عبود